

مِنْ هَذَا وَمِنْ هَذَا

الحريم في نظر الغرب

إن حياة الحريم في قصور سلاطين آل عثمان تمثل هذا الضرب من الميشة التي تصوره ألف ليلة وليلة ، والذي تفنن الكتاب الأوروبيون في وصفه ما وسعهم الخيال ، ففيها الأجواء المفعمة باللذة وضروب المتع والتسلية المختلفة . ولقد ظل « الحريم » من الأسرار الغامضة التي تتضارب فيها الأفكار ، حتى إذا زالت سلطة الخلفاء ، وأبيح للجميع أن يدخلوا قصورهم الفخمة ، كشف القناع عن الكثير مما كان يجري فيه . ولا شك أن رغبة الغربيين في التعرف أسرار « الحريم » في القصور العثمانية كانت أعظم من أية رغبة أخرى في إدراك أحوال الدولة إبان عهد السلاطين ، وكان ذلك مدعاة لأن يكتب الكثيرون — آنا بالحق وآنا بالباطل — حول هذه الناحية ، وتنافس الخيال والحقيقة في تصوير الحياة داخل « الحرمك » فكان تتاجهما هذه الكتب التي تطلع علينا بها — بين حين وآخر — دور النشر في الغرب . ومن الكتب القيمة الطريفة حول هذا الموضوع كتاب The Harem الذي وضعه المستشرق الإنجليزي بنزر ، وكان ملماً باللغة التركية ، عاش في الآستانة ردهاً طويلاً ، وخبر الحياة التركية عن كثب . وقد وصف في كتابه هذا حياة القصور ، لا سيما قصر سيراليو الذي كان يسكنه سلاطين آل عثمان من آلاف النسوة اللاتي جيء بهن — إما ييماً أو اقتساراً — ويصف منظر « الخصيان » وهم يرفلون في أزيائهم المعجبية ، فلا عجب إذا اجتذب الغربيين هذا الوصف لحياة تكاد تكون من بنات الخيال ، بل لقد يقصر الخيال في كثير من الأحيان عن أن يتناول بلوغ ما بلنته الحقيقة الماثلة في قصر سيراليو .

يقول مستر بنزر في وصف الحرمك « إنه دنيا صغيرة ، محكمة الإدارة ، دقيقة السياسة ، خلى إلا من النساء اللاتي تمشي كل منهن من أجل واجب تؤديه ... والحرمك ، وإن كان مجتمع

نسوة ، إلا أنه كثيراً ما دبرت فيه المكائد ، وشهدت جدرانه تدبير دسائس تقشعر لهولها الأبدان ، كما كان حظ الكثير من زبيلاته الجيالات القتل بلا رحمة . وكمن ضمت أمواج البسفور من فتيات غضب عليهن السلطان فأصبحن طعمة لحيتان البحر وأسماكه » أما الخصيان ، فقد أخذ عددهم يزداد كلما اتسعت موارد السلطان . وكانوا في أول الأمر من البيض غير أنه سرعان ما حل محلهم السود لما طبعوا عليه من إخلاص لساداتهم ، أما البيض فكانوا أهل دس وغدر وفتنة . ومنذ القرن السادس عشر أصبح الحرمك يدبر أمور الدولة من وراء ستار . ولما نفي السلطان عبد الحميد إلى سلاطيك عام ١٩٠٩ م ، أذنوا له أن يصطحب معه في منفاه بعض القربات إليه . أما الباقيات وبماوزن بضع مئات فقد أصبحن بلا عائل . وقد وصف ذلك كله فرنسيس ماك كلاج في كتابه « سقوط عبد الحميد » فقال : « لقد جمن في قصر (ثب كابو) في حشد عظيم ، وإذا كان أغلب النسوة في حريم السلطان قوقازيات ، وكن يؤثرن على غيرهن بلجلهن الرائع ، فقد أبرقت الحكومة التركية إلى مختلف القرى القوقازية تعلن إليها أن لكل عائلة الحق في استرداد فتاتها من حريم السلطان سواء أكان أبواها قد باعها أم اغتصبت من بين ذويها . ومن ثم وفد على القسطنطينية الكثيرون من جبلي القوقاز يخطرون في ثيابهم السجبية ، وحددت لهم الحكومة يوماً توافدوا فيه على قصر (ثب كابو) واستمروا محظيات السلطان سافرات بلا قناع . وكمن كان منظر الفتيات وهن يرتعن في أحضان آبائهن أو أخواتهن مؤثراً ، بعد أن حيل بينهم وبينهم ، ويثن من لقائهن ... فهذا أب يقبل ابنته وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وهذا أخ يعانق أخته بعد أن ظنا أن لا تلاق بعد . ولشد ما كان التباين عظيماً بين لباس هؤلاء الجلبين ولباس بناتهم وهن يرفلن في غالي الثياب وأبهاها . وسرعان ما جمعت كل فتاة ملابسها ،

وعلى التقيض من ذلك نرى أناساً لا يطيقون أى نوع من أنواع الألم فيلجأون إلى العقاقير السامة كالسكواكين والورفين لتخفيف آلامهم وكثيراً ما يمتادونها

فهل هناك حد وسط بين هذين الحدين ؟ هل توجد حالة طبيعية بين هاتين الحالتين ؟ من المحتمل أن لا يوجد شيء من ذلك . وكل ما نستطيع أن نقوله : أن الرجل الصحيح يتجنب الألم بقدر الإمكان ، فإذا ناله شر لا بد منه فيجب عليه أن يتجملد له ويحتمله ، ولا يفعل كما يفعل الطفل ، وقد نستطيع أن نطبق هذا المبدأ على أوجه الحياة المختلفة . فنحن كثيراً ما نفعل أعمالاً لا نريد أن نفعلها ، فبعضنا يرفضون عقيرتهم بالشكوى لأقل شأن ، وبعضنا يتركون العمل الذى يشتغلون فيه بغير مبرر ، فإذا فرضنا أنك أجبرت بحكم عملك على أن تكون مع شخص لا تود . فالرجل الناضج فى هذه الحالة يحتفظ بشعوره نحو هذا الإنسان ويعامله بشيء من الحذر . أما شعور السرور الذى يتولانا فى مجلس من المجالس ، أو عند مشاهدة تمثيل إحدى الروايات ، فقد يثير فى نفوسنا شيئاً من الضحك أو الهياج ، وقد لا نستطيع أن نتكلم هذا الشعور ، إلا أنه من الواجب أن لا نشوش به على الآخرين كما يفعل الصبيان ، فسواء كنا فى حالة من السرور أو حالة من الألم فالواجب علينا أن تعلم ضبط النفس وكبت الشعور وإلا كنا غير ناضجين

تجسير الكلاب فى الحروب

تدرب الكلاب فى جميع أنحاء العالم للخدمة فى الحروب . ففى روسيا أنشئت مدرسة فى موسكو للكلاب ، وفى اليابان أعدت أما كن فسيحة لتدريبها منذ ١٩٣٣ ، وقد أعدت ميادين خاصة فى بولندا وإيطاليا لتدريب الكلاب على الأعمال الحربية على اختلافها ، وفى أستراليا تلازم الكلاب طلائع الجيش ، أما فى فرنسا فعلى تدريب مع الجنود فى كثير من الميادين .

وتستخدم الكلاب فى حمل الرسائل إلى الفرق الطبية ، وفى توصيلها إلى الحرس ، حيث يجتاز الأماكن الوعرة ، وتعتبر الأنهار الواسعة لتوصيل رسائلها . وهى تدرك المرضى فى الميدان بما يحتاجون لتضميد الجراح ، وهى تستطيع أن تحمل المؤن على ظهورها وتسير بها إلى مسافات بعيدة .

وقد كانت الكلاب تستعمل فى الهجوم والدفاع منذ أقدم العصور . ويقول هيرودتس إن « سيرس » كانت لديه كلاب

وغادرت الفصير غير آسفة عليه ، نسج عدد من نومئذ مائتين وثلاث عشرة أنثى ، أما الباقيات فقد اختار سنهن الأمراء من اختاروا . . . هذا وصف شاهد عيان لمنظر من مناظر ألف ليلة وليلة .

أما قصر سيراليو فقد خيم عليه الصمت كأنما استوحش من ساكنيه ، حتى إذا كان عام ١٩٢٤ جعلته الحكومة التركية من المنافع العامة ، وطبعت من أجله دليلاً يشرح للزائرين ما يهيم عليهم إدراكه ، وإذا كان الزائر لمصر لا بد له من مشاهدة الأهرام وأبى الهول ، فإن زيل القسطنطينية اليوم ليعرّج قبل كل شيء إلى قصر سيراليو فيتمثل صورة الحرم والترف فى قصور السلاطين ويرى روعة الفن وجلاله ، ولم شهدت حجراته من مآس ومسررات

النضوج وضبط النفس

إذا نظرنا إلى الطفل وجدناه أكثر من غيره تبرماً بالتمب . فإذا أصابه الجوع أو ناله قليل من البرد أو الحر أو شعر بتقييد حريته فلم يستطع أن يتحرك كما يشاء ، أو اعترته هزة عنيفة يعامل من العوامل ، فهو ولا شك عرضة للتهيج . وإذا كان الطفل لا يعرف الأسباب التى تدعو إلى ما يشعر به من الألم ، فإن احتجاجة عليه عادة يكون عنيفاً . فإذا جاوز سن الطفولة وتعداها إلى سن النضوج ، فإن شعوره بهذا التهيج يخف ويتغير . وليس معنى ذلك أن المراهق لا يشعر بالألام إذا تعرض لها ، ولكن شعوره بها يتغير كل كل التغير ، حتى لا يبدو عليه شيء من مظاهرها

فالشخص الذى لا يحتمل الشبكات ، ويضيق صدره إذا لم يتل ما تصبو إليه نفسه ، ويهتاج لكل حادث ، هو فى الحقيقة شخص لم يصل شعوره إلى درجة النضوج ، وكل إنسان ولا شك يكره أن يكون ذلك الرجل . فإذا أردنا أن نعرف حقيقة أنفسنا من هذه الناحية يجب أن نترك الحكم عليها للآخرين ، وعلى الأخص هؤلاء الذين لا نجتمعنا بهم روابط الصداقة

فما مقدار الألم الذى يستطيع أن يحتمله عادة الرجل الكامل النضوج ؟ إن نظرة بسيطة تدلنا على أن هناك اختلافاً كبيراً بين الأفراد من هذه الناحية . فقد رأينا أناساً يحتملون كسر العظام وقطع الأوصال ، ورأينا بعضهم يقومون بإجراء العمليات الجراحية لأنفسهم وسممنا بأشخاص تقطع أوصالهم إرباً إرباً فى بعض المحاكات ليخونوا صديقاً أو يعترفوا عليه بما يؤذيه فلا يشكون ولا تتغير حالهم

قد تكون هناك بعض صعوبات في تسجيل خواطر بعض الناس ممن يفكرون في شئون مختلفة في وقت واحد ، ولكن تلك الآلة تستطيع أن تركز ذهن الإنسان وتستخلص ما نشاء من أفكاره غير أنك عند تسجيل بعض الأفكار الهامة والمعلومات العلمية العظيمة ، قد تصادفك خطوط مختلفة لماطفة من المواطف الخاصة مما يستثير الضحك في بعض الأحيان

ولا يستعصى على هذه الآلة إخضاع بعض المصبيين ومرضى الصرع والشواذ مما ينتظر أن يأتي بأجل الفوائد ، ولا شك أن هذا الاختراع سيفتح أمام العلم باباً لا حد له من التفكير أى دنيا بحجية سيلقى بنا فيها هذا الاكتشاف ؟ وكيف نكون ؟ وكيف تصبح حياتنا إذا كانت حتى خواطرنا لم تعد ملكاً لنا في هذه الحياة ؟

لقد مات جيتى وهو يقول : نور... نور ! أين كانت هذه الآلة لترينا أى نوع من النور كان يريد الشاعر العظيم ؟ أهو نور العبقرية ونور الروح ، أم نور الشموع ؟



كَانَ ذَلِكَ أَمْنِيَّةَ بَعِيدَةِ الْمَيَّانِ ...

أنا الآن بصير ما ينجح العالم الحديث في اكتشاف أسرار هيرمونات الجسم وقد علمنا علاج الب باسم **لؤلؤ تخطيط** قدما في قديمك أنت سيد قديم شيايك النقص قد استقر الآن المستقر ، إنه لؤلؤ تخطيط يعمل تحت رقابة مسخرة من هذه التأسيسات الشريفة بربانية بلين . لكن تقف على مقاسم المسألة البنية بمبدأ طالع كتاب الحساسة الجديدة ، الذي يمكنك الوصول عليه نظيرة للشجرة العزبة والوعظيمة المملدة برسم ذات نمرة الواه أرواح للشجرة العربية . أيل المبلغ طوبى بريد الم جلالا نهور مين - صندوق بوسه ٢١٠٥ برصد ارفضوا كل علة غير مكتوب عليها : تعبئة خاصة للشرق جرة قوية

يستخدمها في الحروب . وفي كتاب بلوتارك أن الكلاب أنجت كتية « كورنثيه » من الهلاك .

وكان فيليب المقدوني يستخدم الكلاب في حروب أرجول واستخدمها الرومان لحراسة الجيوش ، وكان « السلت » يدربون الكلاب على مهاجمة الخيل ، فتأخذها بخياشيمها وتستطعها في ميادين الحروب .

أما في القرون الوسطى فقد كثر استخدام الكلاب لهذه الأغراض ، وقد كانت الفرق الأسكوتلندية تصطحبها على الدوام وكانت مدينة سان مالو تستخدم الكلاب في حراسة أسوارها إلى سنة ١٧٧٠ ، وقد أخذ نابليون الكلاب سنة ١٧٩٩ لحراسة الجنود في مدينة الإسكندرية . واستخدم الألمان الكلاب لحماية الكتابات وحراسة الأقاليم والمسكرات في سنة ١٨٧٠

وفي سنة ١٨٩٥ قام كلبان بإمداد كتيتين بالذخائر أثناء الحرب على أكل وجه .

وفي سنة ١٩٠٤ كان الجيش الألماني يستخدم ٦٠٠ كلب من الكلاب المدربة على الحروب وآلاف من الكلاب الأخرى أما فرنسا فقد بدأت تجنيد الكلاب في سنة ١٩١٦ ،

وقد اجتمع في باريس ٩٠٠٠ كلب نظمت فرقا وأرسلت إلى الميادين للتدريب . وقد قامت تلك الكلاب بخدمات عظيمة مما كان ذكره موضع إعجاب المتحدثين .

آلة لقراءة الخواطر

اكتشاف عظيم سيحدث فجة عظيمة في العالم ! ذلك هو اختراع آلة لالتقاط الأفكار والخواطر التي تجول بذهن الإنسان ! وليست هذه الآلة كالآلات المصورة التي يعرفها كل إنسان ، ولا حلما من أحلام رجال العلم . إنها مصورة تشتغل في كل مكان وليس إلا أن رقد الإنسان على منضدة والآلة تسجيل خواطره دون أى ألم أو ارتباك !

وللحصول على هذه العجزة يكفي أن يكون عندك سلك موصل بآلة كهربائية وفلم نظيف وتحرك آلة تسجيل الخواطر . إنك لا تستطيع عند ذلك أن تحنى أمرار نفسك بحال من الأحوال